تفاهم اكثر مع انفسهم ، كان اكثر انسجاما من استعمال الايقاع الواحد المعاد .

وهذا التعدد كفل للرؤيا الكونية راحة اكثر في اطلاق أوسع مجال روحي للافكار . وهو في الوقت نفسه لايمثل تعددا استفزازيا يكون الايقاع فيه كالنشاز بالنسبة للاخر بل ان وحدة هارمونية توطد التآخي الايقاعي والانسجامات اللونية . والشعر كفعل فني ايقاعي يتفق مع التطورات الموسيقية في مهمة تذليل التناقض القائم بين (الحس) و (التكشفات الحدسية) من جهة ، وبين التعبير الشعري او الموسيقي من جهة اخرى . والقدرة التعبيرية لايمكن ان تحتاج الى شيء سوى الى المزيد من الحرية . ان ابيات القصيدة الواحدة في الشعر العمودي هي اجزاء متساوية في بناء موسيقي . وان وحدة البيت تخلق خلال ذلك أسيجة محددة تحجز الحرية ، فيضطر الشاعر ان يمارس حريته بالقدر الممنوح له . وحيث نرى مبدئيا ان دين الشاعر الوحيد هو حريته فمعنى ذلك ان الاطار الايقاعي القديم لايمكن دائما ان يحل تناقضه القائم مع حرية الشاعر وحركته الوحيدة الا بعدم القداسات العروضية التي ساهم اعداء (الشعر ـ الانسان) انفسهم في تحجيرها كاوثان او اخلائها من روحها .

ان الشعر الحديث قد قدم اسهاما ثوريا في عملية الخلق الفني وفي تفجير الطاقات الخبيئة والاكثر وعيا لطبيعة حرية الانسان . وهو لم يقدم على تحطيم وحدة البيت فحسب ، بل ان وحدة التفعيلة نفسها بدت ليست المقاس الوحيد والمشروط للتعبير عن توتراته ونزعاته وبوحه المستمر بنداءاته . لذلك فقد اضحى التطور الحاصل في القصيدة العربية ليس محاولة مجددة تعاكس القديم ، بل اختيارا من خلال الضرورة ، الضرورة في ان يتكافأ الحس والموسيقى واللغة والمعاني في وحدة واحدة . فبقدر ماتكون الحالة النفسية للشاعر متغيرة او غير مخططة ، ينبغي ان تكون الوحدات الايقاعية قادرة على امتصاص الشحنات الوجدانية للشاعر ، بحيث يكون هذا الامتصاص ايجابيا خصبا يعبر اولا وبكل جلاء وحرية ، ويعطى ثانيا اضاءة اكثر واسترمازا اكثر . فالاحاسيس المتحركة لايمكن ان تستوعبها أشكال موسيقية رتيبة كليا . وحركة الحس في الاسراع او الابطاء او التوقف ، وكذلك طبيعة الذاكرة وبحث الرؤى الحدسية وتكوين الانسان الغريزي والذهني يحتاج بالمقابل الى حرية كاملة للايقاع الموسيقي الشعري ، يطول أو يقصر ، او يتجزأ أو يلتم أو يرفض نفسه ،حتى ينجح في ان يكون معادلا موضوعيا يتطابق مع شرط الشاعر الداخلي ومسيرته أفقيا او عموديا .

والروح الموسيقية تتحمل كل ذلك . وما دامت الكلمة نفسها تمتلك جوا موسيقيا تشيعه حروفها ، وما دامت الكلمة تنجح في اصطياد الحدوس الانسانية والانفعالية الداخلي ، اذن فهي قادرة ـ وحتى اذا انعدمت التفعيلة ـ ان تقدم شعرا .

ولا بد من استخلاص نقطة وهي : مادام التجديد في الشعر يحتكم الى التجديد في الموسيقى ، اذن فاعداء التجديد الشعري والمغامرة الشعرية هم انفسهم اعداء التجديد الموسيقي ، ولكن عندما قال (افلاطون) : (حذار ! فالتجديد في الموسيقى افساد لكل شيء، وكما يقول « دامون » ـ واني اوافقه على ذلك ـ ان كل من يمس قواعد الموسيقى فانه يهز في الوقت نفسه القوانين الاساسية للدولة) (يجب اذن ان ننظر الى الموسيقى كما لو كانت حصنا من حصون الدولة .) فهل معنى ذلك ان تاريخ الموسيقى انصت مطيعا لقولة افلاطون ؟ طبعا .. لا ، والسيمفونيات المجيدة والابداعات الموسيقية الرائعة شاهد على ذلك . فالموسيقى ليست نظاما وليست مجموعة خطوط لاخيار لنا في سواها . وكذلك الشعر ! وبذلك يستطيع الانسان ان يقول كما قال (كيركفارد) : (انني أكون !)

بغداد — عزيز السيد جاسم

الولد الجديد

أترى موسيقى الكلمات انتحرت ..
في وجع الكاس ؟
أترى عاشقة الليل بكت ..
خوفا من همس الحراس ؟
أترى طلعة هذا المجد الباقي ..
ضاعت في وهم الناس ؟

* * *

ـ هل ضاع الواقع يا أختاه ؟
هل ضعت أنا ..
أم ضاع الله ؟؟
الطفل القادم من درب الشمس ..
قتلناه .
الحلم الليلي المنهار ..
حفظناه
والله يصيح من التوراة :
« سلاما .. يا شعب الله » .
والهي ..
ما ذنب الهي ..
هذا الطفل الورديء ..
لماذا واريناه ؟
طفلي .. كلي .. يمضي
وينادي : « أماه » .
أأمزق نهدي وابكي ؟؟
اني أبحث عن طفلي ..
دلوني ..
اعطوني طفلي ..
واطفلاه

* * *

ـ موسيقى الكلمات انتحرت
واللحن الرائق تاه
الاخت الثكلى تبكي
ويمين القاتل في يسراه
وأنا ما زلت أنا ..
تيارا يبحث عن مجراه

طارق عون الله